

عاصفة في قلب

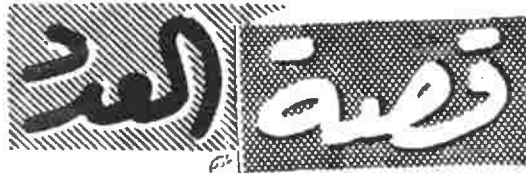
• مهداة إلى الأخ العزيز الأستاذ عبد الله عباس
بمناسبة تخرجه من كلية الحقوق المراقية •

بدأ صاحبي حديثه بقوله :

« قالت زوجتي وأنا أهم بالحروج من المنزل : احضري لي هذا اللسان عباءة حريرية ، يجب أن تكون حريرية . . . لأن جارأتى فاطمة وعائشة وبدرية وغيرهن يتمتعن بأعبية حريرية وأنا ما زلت متسربة بعباءة قديمة تنقص قيمتي وتخدش كرامتي .

وسامعها الله كأنها تتناسى أن زوج فاطمة موظف كبير في الحكومة يزيد دخله على راتبي الضئيل بعشرات المرات وزوج عائشة تاجر يربح في الشهر أضعاف ما أربحه في السنة أما بدرية فزوجها عامل فني يدر عليه عمله بمئات الروبيات شهرياً . . . وأنا

أنا . . أنا المسكين الذي يلقي إلى رئيسي مائة روية شهرياً كما يلقي القصاب قطعة من اللحم لكلب من الكلاب . .



فكيف أستطيع أن أعطيها ما تريد وأسعددها كما يسعد الآخرون زوجاتهم ، ولست أدري لم تضايقت هذه المرأة وتحاول دائماً إزعاجي بينما أسعى جهدي لإرضائها وإدخال البهجة إلى قلبها . ولست أدري مرة أخرى — كيف يقضي بقية الأزواج حياتهم ! هل يقضونها كما أقضيها ؟ وهل يعانون ما أعانيه ؟ أم أنهم يعيشون في هناء وسعادة . لقد كنت قبل الزواج مرتاح البال هادئ النفس وهأنذا الآن أنشد الراحة فلا أجدها وأبحث عن السعادة فلا أرى لها أثراً . لقد كان الأمل الذي عقدته قبل الزواج ويا للأسف سراباً خداعاً لاح لناظري فزين لي الحياة الزوجية ، وما كدت أرتبط برابط الزواج المقدس — كما يسمونه — حتى تبدد الأمل وتلاشي .

وصممت على شراء العباءة ، وكيف لا وأمرها مطاع . وإن أطعت لها أمراً فلاجل الطفل المعذب الذي ما زال في العام الأول من حياته ، فإن وقعت القطيعة بيننا فإن حياة الطفل في خطر .

ولكن كيف أستطيع الحصول على هذه العباءة وقيمتها ثلاثون روية ولم يبق من الراتب سوى عشر رويات وما زلنا في منتصف الشهر . لقد دفعت أربعين روية أجرة للمنزل الذي يأوينا وسددت ثلاثين روية بعض الديون التي تراكت علينا وصرفاً عشرين أخرى للمأكل والملبس ، ولم يبق من الراتب إلا هذه الرويات العشر كما أسلفت . فكيف العمل ؟ وبأى وسيلة أستطيع اتقاذ نفسي من هذه الورطة ؟ وخطر لي خاطر . . ألم يقل لي صديقي عبد الله أنه مستعد لإعطائي ما أريد ؟ وأحمد . . أما أصر مراراً على أن يقرضني مبلغاً من المال أحسن به حياتي العائلية ؟ وفهد . . وهل أنسى كلماته

الطيبة وهو يقول إن هذا الصندوق تحت تصرفك فاطلب ما تشاء . إذن سأذهب إلى أحد هؤلاء

الأصدقاء وأقترض المبلغ على أن أرجعه في مطلع الشهر القادم وقادتنى قدمائى إلى محل صديقي فهد ، وأنا مرتبك كل الارتباك ودقات قلبي تتزايد ، وأخذت أبتلع ريقى بعسر كأننى مقدم على ارتكاب جريمة من الجرائم . ودخلت المحل في هذه الحالة . لقد كان المحل حاصراً بالرواد ، فسلمت وجلست ورحب بي صديقي أحسن ترحيب ، بيد أن القلق أخذ يساورنى أكثر من السابق . . وكيف أقوى على مفاتحته في الأمر ؟ إننى لم أطلب منه روية واحدة في يوم من الأيام فكيف أجسر على طلب ثلاثين روية منه ؟ وإذا اعتذر ماذا يحل بي وكيف أستطيع مواجهته بعد ذلك ؟ ولكن ألم يبد هو رغبته مراراً بمساعدتى ؟ فلم التخوف إذن ؟ وانتظرت حتى يتفرق عقد الجماعة ويخلو المكان .

وبقيت على حالتي تلك حتى الظهر ثم فأتحت في الأمر ، فابتسم ابتسامة غريبة لم آلفها منه سابقاً وقال : « أرجو المذرة يا عبد القادر لأننى محتاج إلى المبلغ في هذه الأيام وإذا انتظرت أسبوعاً فقط . . سأعطيك ما تريد . »

لقد صدمتني هذه الكلمات وكانت بمثابة سهام ماضية وجهت إلى قلبي الواهن وأظلمت الدنيا في عيني وتغيرت أحوالي ، ثم ودعت صديقي وخرجت أتعثر بأذيال الحية والفشل . وحلفت ألا أذهب إلى أحد من الأصدقاء لأنهم لا يختلفون عن ذلك الشخص أبداً . . . كلام معسول ، وصداقة واهية لا تتعدى المجاملات ، ولا يعلم إلا الله ما تكنه القلوب . خرجت متألماً وأنا أـ كـفـكـف دموع الحية .

إذن فلن أذهب وكيف أوجد ثمن العباءة ؟ وقلت لنفسي لم لا أذهب إلى رئيسي الذي أعمل تحت يده ؟ ولكن كيف يكون ذلك ؟ وهل يحمل هذا الرئيس قلباً كما يحمل الناس وهل يرق لبائس مثلي ؟ كلا لن أذهب إليه . لأنني أتذكر جيداً ذلك اليوم الذي توسلت إليه أن يزيد مرتبي بضعة رويات تساعدني على مهام العيش ، فثار وأرغى وأخذ يهددني بالطرد من عملي إن أنا أعدت هذا الكلام على مسمعه . فما كان مني إلا أن سكنت وانسحبت من وجهه بأمان .

وواصلت السير وأخذت أفكر في العباءة ، ولم يبق لي سوى زميلي في العمل عبد الحميد وهو شاب طيب نبيل . وما كادت الفكرة تختمر في مخيلتي حتى ذهبت إلى منزله وكان الوقت ظهراً والطريق خال من المارة وشمس أغسطس تصلي شارع « دسمان » بشواطئها المحرق . فطرقت الباب وخرج إلى علي وجهه آثار الدهشة والاستعراب ، فأخذت أشرح له القصة وأنا أجفف العرق المتصب على وجهي بالمنديل وسرعان ما دلف إلى الداخل ليحضر النقود وآمنت حينذاك أن الفقير هو الذي يرق للفقراء أما الغني فلا يشعر بما يعاينه جاره ويتناسى أنه يبيت على الطوى ، يفرش الأرض ويتخذ الدماء لحافاً .

لقد تحصلت على المبلغ ولكن أمن المقول أن أنقعه بأسره . إن الأقمشة الحريرية تختلف عن بعضها فلم لأشترى من النوع الرخيص لكي لا تتضع ميزانيتي فأظل أعاني أزمات نفسية تثقل كاهلي وتجعلني أساهر نجوم السماء . وإذا اشتريت من النوع الرخيص هل ترضى به زوجتي ؟ إنها لاشك ستثور وتملأ المنزل ضجة وصخباً ولكنها كيف تعرف الجيد من الرديء ، إنها لم تلبس الحرير على الإطلاق فكيف تفرق بين النوعين ؟ إذن سأشترى لها من النوع الآخر .

ووصلت السوق وانتظرت حتى العصر عندما فتح الناس حوانيتهم ووقفت بجانب القماش وأخذت الأفكار تعصف في نفسي وأخذت أكرر حسراً « الجيد أم الرخيص ؟ الرخيص أم الجيد ؟ الجيد أم الرخيص » وقر الرأي أخيراً على الصنف الرخيص وثمنه عشرون روية . ورجعت إلى المنزل أنأبط قطعة القماش وقلبي يكاد يطفئ من شدة الفرح والسرور أنها ستطرب وتملأ المنزل بهجة وجوراً . إن الحرير لا يلبسه إلا الأغنياء أما أنا فمن الفقراء وزوجتي لم يدر بخديها أن تلبس هذا النوع . ومن يدرى ربما كانت تمزح عندما أمرتني بشراء العباءة ، فأصبح المزاح حقيقة واقعة . ومهما يكن من شيء فإنني أخذت أنخيل زوجتي وهي تتناول العباءة فرحة مسرورة . ثم تسرع إلى جارتنا أم عبد الرزاق لتخيطها ثم ترجع إلى وتغضض إلى الطعام لأنني لم أتناول طعام الغداء . ولم تقطع هذه الأفكار إلا عندما . . . دلفت إلى المنزل وأخذت أدعوها إلى قائلها « هلمى يادلل . . إن لدى مفاجأة سارة ، تعالى يا عزيزتي . . هذه هي العباءة التي أهديت رغبتك في اقتنائها . . إنها فوق طاقتنا ولكنني اشتريتها على كل حال . . آه لو تعلمين يا دلل ما حل لي قبل أن أتحصل على ثمنها . لقد تخلى عني الأصدقاء الذين عقدت عليهم الآمال وأغاثني زميل لم يدر بخدي أنه سيمد لي يد المساعدة في يوم ما . خذوها يا دلل واذهي بها إلى من تشائين لحياطتها . . »

وكانت زوجتي تستمع إلى وهي جالسة ترضع الطفل . ثم وضعت على الأرض وجاءت بسرعة وأخذت تقلب القماش ثم قطبت أسارير وجهها وقالت : « أهذا هو الحرير الذي أريده ؟ أهذه هي العباءة ؟ أنهزأ بي ؟ أما تخاف الله ؟ قل لي ألم تجد أرخص من هذا القماش ؟ لقد تعبت معك يا عبد القادر أنا لا أريدها . . لا أريدها . . »

وعجبت من أمرها . . وأردت الاستفسار عن سر هذه الثورة — وإن كنت أعرفه تماماً — بيد أن سيل غضبها أخذ في الازدياد ولم أشعر إلا والعباءة ملقاة في الموقد تلثمها النيران . .

فاضل خلف
السكويت

مكتبة الطلبة

أطلب منها يومياً

جريدة الزمان العراقية

وشهرياً

(الكتاب) والاديب

وجريدة كل شيء اللبنانية

كل يوم اثنين

ومجلة الاتحاد النسائي العراقي

ومختلف الكتب

العربية والافرنجية

خارطة الكويت



الآن صدرت خارطة الكويت وهي

مطبوعة على ورق أبيض سميك مقاس

٧٠ × ١٠٠ (سنتيمتر) طبعاً أنيقاً بالألوان.

مفصلة تفصيلاً وافياً .



أطلبها من مكتبة « التلميذ »

شارع الأمير - الكويت

محمد عبد الله الشهاب - كويت
الشارع الجديد

MOHAMED A. ALSHEHAB

KUWAIT-NEW STREET



IOVIAK
ROZ.BAK
MONTNEZ
VENEX
HELVETIA

جومياباك
زودباك
مونتنتز
فينكس
هلفتيا

أجود الساعات من أشهر الماركات السويسرية
جمال - متانة - مهاودة في الأسعار